

حقوق الرائي والرائية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

عضو هيئة التدريس في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالدينة النبوية



miraath.net

Miraath.Net

قام بها فريق التفرغ بموقع ميراث الأنبياء

ميراث الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرُّ موقع ميراث الأنبياء وضمن سلسلة محاضرات في الأمن الفكري أن يُقدِّم لكم

تسجيلاً لمحاضرة بعنوان:

حقوق الراعي والرعية

ألقاها

فَقِيلَ لِنَسِخِ الرُّسُلِ
مُحَمَّدٌ زَيْدٌ هَذَا الَّذِي لَمْ يَدْخُلْ

—حفظه الله تعالى—

يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر رجب عام سبعةٍ وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية في جامع

الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود —رحمه الله تعالى—.

نسأل الله —سبحانه وتعالى— أن ينفع بها الجميع.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لازلنا في هذه السلسلة المباركة بإذن الله -جلّ وعلا- والمتعلّقة بالأمن الفكري، والتي حرص إخوانكم في دورة الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ الشرعيّة بمحافضة جدّة بالتعاون مع الإدارة العامة للأوقاف والمساجد والدعوة والإرشاد، حرصوا على إقامتها، ونحن اليوم في هذه الليلة المباركة -إذن الله- على موعدةٍ مع شيخنا وأستاذنا، مع صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور: «محمد بن هادي المدخلي»، عضو هيئة التدريس بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبويّة، نحن مع شيخنا وأستاذنا على موعدةٍ في هذه الليلة مع محاضرةٍ مهمة جد مهمة، وعنوانها: «حَقُّ الرَّاعِي والرعيّة»، أسأل الله -جلّ وعلا- أن يفتح على شيخنا وعلينا جميعًا، وأن يبارك فيه، وأن يُجزل له الأجر والثواب، وأن يُبارك فينا جميعًا، وأن يرزقنا الفقه في دينه، إن ربي سميعُ الدعاء، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٢٠١

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ

الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ آل نساء: ١

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ زاب: ٧ - ١٧

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديثِ كتابُ الله، وخير الهدي هديُّ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ.

أيها الإخوة في الله: سمعنا جميعاً مقدّمة أخينا الشيخ فؤاد بن سعود العمري -جزاه الله خيراً-

في تذكيره بموضوع هذه الكلمة، وأن أمرها مهمٌ جداً، وهو كما قال -وفقه الله- ورزقنا وإياه وإياكم جميعاً العلم النافع والعمل الصالح، والفقه في الدين والبصيرة فيه.

إن موضوع هذه الكلمة موضوعٌ في غاية الأهميّة، به تُعمر البلاد، ويسعدُ العباد في حاضرهم في هذه الدنيا ويوم المعاد، وبه وبفقدته والتّساهل فيه والتفريط فيه تخربُ البلاد ويعمُ الفساد، وتضطربُ أمور الناس في دنياهم، وإذا انحرفوا فيه اضطرب أمرهم يوم المعاد، ذلكم الأمر نحن الآن في هذه الأيام نرى آثار القيام به، وتأديته حقّ تأديته، وما يترتب على ذلك من الخير، ونرى آثاره العكسيّة أيضاً في عدم التمسُّك به، والقيام به، أو المحافظة عليه، أو الدعوة إلى هدمه، والسَّعي في ذلك، وماذا نتج عنه، إن هذا الأمر أيها الإخوة هو أمر العلاقة بين الرّاعي والرّعيّة؛ حقوق الرّاعي والرّعيّة.

فالرّاعي له حقوق، والرّعيّة لهم حقوق، وبأداء كل واحدٍ منهما للآخر حقّه ينتظم أمرُ المعاش، ويصلح أمرُ المعاد بين يدي ربّ العباد -تبارك وتعالى-.

إن القيام بهذا الأمر كما أرشد إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- ووجّهه، وبَيَّن، وحذّر من ضده؛ القيام بذلك له فوائد عظيمة في العاجل، والآجل، والتفريط فيه يترتب عليه عواقب وخيمة في العاجل، والآجل.

فالسُّلطان يا عباد الله الرّاعي هو ظلُّ الله في الأرض، ليس هذا كلامنا نحن، وإنما هو كلام من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيُّ يوحى، كلام نبينا محمدٍ -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم- حيث صحَّ عنه أنه قال: «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللَّهُ»، فماذا بعد هذا الكلام في الصّراحة، والبلاغة، والتوقير، والتحذير، التوقير بالحثّ على إكرام سلطان الله في الأرض، والتحذير من إهانة هذا السلطان الذي نصبه الله في الأرض؟!!

أيها الأحبة: إن أمر البلدان وأمر العباد لا ينتظم إلا بسلطانٍ برٍّ أو فاجرٍّ، فالبر يعمُّ خيرُهُ، وينتفع هو وغيرُهُ، ويُعبد الرب -جلّ وعلا-، والفاجر شرُّه عليه، وخيره يتعدّى إلى الناس، فينتظم أمر معاشهم، ويقوم سوق عبادتهم لربِّهم، وتُحفظُ هيبتهم أمام عدوهم، حينما يجتمعون على سلطان يذبُّ عن المسلمين، ويحفظُ حدودهم وثغورهم، ويردُّ ظالمهم، ويمنع قويَّهم ومعتديهم عن ضعيفهم، فالأمر كما قال الحسن البصري -رحمه الله تعالى وغفر له- قال: "هم يلون من أمرونا خمسًا -يعني الحُكَّام السلاطين- الجمعة، والجماعة، والأعياد، والثغور،

والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله إن طاعتهم لغبطة، وإن مفارقتهم لكفر".

فالشَّاهد يا عباد الله: لولا أن الله -جَلَّ وعلا- أقام هذا السلطان لتسلَّط القوي على الضعيف، ولأكل الظالم القوي الفقير الضعيف، ولترصدَّ الضعيف المظلوم للقوي الظالم حتى يأخذه على غِرَّة فيقتله غيلةً؛ فيعمُّ حينئذٍ الفساد في الأرض، قال -جَلَّ وعلا-: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [آية: ١٥٢]، فسرها جمعٌ من أهل العلم بأن هذه المنَّة هي إقامة السلطان في الأرض، فيدفع الظالم عن الضعيف فلا يظلمه، ويدفع الضعيف عن القوي فلا يترصد له ويغتاله وينتقم منه، فهذا من لطف الله -جَلَّ وعلا-، ومعلومٌ بداهةً أن المجتمعات لا تُعمر ولا تُبنى إلا بوجود الباني، ووجود الباني لا يمكن أن يكون إلا بتعاون بين الراعي والرعيَّة، فحينئذٍ لا بدَّ من أداء حقِّ الآخر من كل طرف، فهذا يؤدي حقَّ هذا، وذاك يؤدي حقَّ الثاني، وتقوم عجلة الحياة.

وقد جاء ديننا دين الإسلام مبيناً هذا الأمر غاية البيان؛ لأن للإمامة وللسلطان في دين الله -جَلَّ وعلا- مكانةٌ رفيعة، وشأنٌ عظيم، فمنصبه أعظم المناصب الدنيويَّة على الإطلاق، أرفعها مقاماً، وألزمها على الناس توقيراً واحتراماً، فهذا المنصب من أعلى المناصب الدنيويَّة قدرًا، ومن أجلِّها عند العقلاء والعلماء فخرًا، فإن الله -جَلَّ وعلا- قد امتنَّ علينا معاشر المسلمين كما سمعتم في هذه الآية.

ولأجل ذلك منح ديننا دين الإسلام الأئمة والحكَّام سُلطاتٍ على الرعيَّة، وأوجب على الرعيَّة حقوقاً لا بدَّ من أن يقوموا بها في حقِّ رعاتهم، فيصلح حينئذٍ أمرُ الناس جميعاً.

سلطات على الرعيّة وكلها الله إلى هذا السلطان، إلى هذا الراعي، فوكل إليه أن يرضى مصالحهم، ووكل إليه أن يقوم بشئون حياتهم الدنيويّة والدنيويّة، وأوجب عليهم هم أيضًا حقوقًا عظيمةً، وألزمهم القيام بها وأداءها؛ لينتظم معاشهم، ويصلح بإذن الله -تبارك وتعالى- معادهم.

وإذا تدبّر العاقل ما نحن فيه، نحن مثلًا في هذه البلاد من أمن، وأمان، وإيمان، وعمارة لبيوت الله -تبارك وتعالى-، وقصد لبيت الله الحرام حجًا واعتمارًا، وقصدًا لمسجد نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم- عبادةً وتقربًا إلى الله بمزار ذلك المسجد الكريم، وانتظام شئون حياتنا؛ أسواق قائمة، وحياة هائلة قارة، وأرزاق دارة، وأناس قد آمنوا على أنفسهم، ودمائهم، وأموالهم، وأعراضهم فاطمأنوا غاية الاطمئنان؛ قامت أسواقهم، ودّرت عليهم أرزاقهم، وسعدوا في حياتهم فبنوا وشادوا وشرفوا على كثير من الناس وسادوا، كرّمهم الله بخدمة هذين المسجدين، ومنّ عليهم بذلك، ومتع الله -سبحانه وتعالى- من أقام بهذه البلاد من أهلها، أو من ورد عليها بالأمن والإيمان العظيم، فنحن في خير من الله -جلّ وعلا- وعافية لا يعرف قدرها إلا من سلبها، وقديمًا قيل: **"الصّحة تاجٌ على رؤوس الأصحاء"**، لكن من الذي يراها معشر الإخوة؟! المرضى، من مرض هو يعرف قدر الصّحة.

فإخواننا أهل الإسلام في بلاد المسلمين الذين ابتلوا بالحروب والويلات والدّمار، والجوع والخوف، والقتل والتّشريد والتّطريد، كلما لقوا واحدًا منا في أرض الله وعلم أنه من هذه البلاد، قال له: احمدا نعمة الله عليكم، وصدق، وأنتم ترون بأنّ أعينكم في هذه الآونة الأخيرة، قال -

جَلَّ وعلا-: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [سورة صافات: ٧٦]، فأمنت هذه البلاد، وجاءت الفتن يمنةً ويسرةً يراها كلُّ أحد، دماءٌ تُسفك، وحرمانٌ تُنتهك، وسبُلٌ تُقطع، وأموالٌ تُنهب، وخوفٌ وجوعٌ لا يدري القاتل فيما قُتل، ولا المقتول فيما قُتل، هذا الحال نراه وترونه أنتم كذلك، فبلاد الجوار وكثيرٌ من بلدان المسلمين، نزل بها ما ترون، وحلَّ بها ما تسمعون، أفلا يوجب علينا هذا معشر الإخوة أن نكون أعظم الناس اعتبارًا، ونحن قد رأينا ذلك جهارًا؟! بلى والله.

يجب علينا أن نسعى في صلاح أنفسنا أولاً، وإصلاحنا لأنفسنا يكون بأداء ما أوجب الله - جَلَّ وعلا- علينا في كل الأبواب، ومن أعظم هذه الأبواب: باب الولاية، حقوق الراعي، حقوق السلطان، حقوق الإمام فنؤدي له حقّه، كيف نطالبه بحقنا ونحن لا نقوم له بحقه؟! أليس هذا من التطفيف في الكيل والوزن؟! بلى والله، فإذا أردنا أن يستقيم حالنا فعلينا أن نؤدي ما أمرنا الله - جَلَّ وعلا- به، ولنبدأ بما يجبُ على ولاية الأمر حتى يُرى ما نحن فيه من الخير والفضل، ويُدعى إليه غيرنا.

فمن أول ما يجبُ على الأئمة والسلطين المسلمين: يجبُ عليهم أن يُقيموا دين الله بين الناس، إقامة الدين وذلك بالمحافظة عليه بإظهار التوحيد الذي هو أعظمُ أمرٍ، والنهي عن الشُّرك الذي هو أعظمُ منهيٍّ عنه، حثُّ الناس على دين الله الحق، على الإخلاص لله - تبارك وتعالى - في الدين، والمتابعة لسيد المرسلين نبينا محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -، ونهيهم لكلٍّ من يخالف في هذا الباب عن المنكرات، وأعظم المنكرات الشُّرك الذي نهى الله عنه، فمما يجب على

ولاية أمور المسلمين أن يُحقّقوا التوحيد بين المسلمين؛ توحيد العبادة الذي خلق الله العباد لأجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ ٥٧ ﴿الذّاربات : ٦٥ - ٧٥﴾، وينهونهم عن أعظم المنكرات وهو الشرك بالله - جلّ وعلا-، أكبر الكبائر على الإطلاق أن تجعل لله نداً وهو خلقك، فيأمروهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر.

ومما يجب عليهم أيضاً أن يطبّقوا شرع الله - تبارك وتعالى - على العباد، وأن يحكموا بينهم بما أنزل الله - جلّ وعلا-، قال ربّنا - جلّ وعلا- لبنينا محمدٍ - صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ المائدة : ٩٤، فيجب على إمام المسلمين، وأئمة المسلمين أن يطبّقوا شرع الله - جلّ وعلا- في العباد، ليستقيم العباد، وتصلح البلاد: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴿الجمعة : ١٤﴾، وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٥٥﴾، هذا وعدٌ من الله - تبارك وتعالى - ، فالاستخلاف والتمكين لا يكون إلا بإقامة دين الله وتطبيق شرعه - سبحانه وتعالى - بين الناس.

وشرع الله - عز وجلّ - هو الذي يصلح العباد والبلاد ﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ راف : ٤٥، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾، هو الذي خلقنا - سبحانه وتعالى - ويعلم ما يصلحنا في حياتنا، ويسعدنا في معادنا - جلّ وعلا-، فالذهاب إلى الغرب والشرق، والتماس القوانين الوضعيّة منهم التي هي في الحقيقة نُحاة أفكارهم، وزبالات أذهانهم، كلما جاءت مدة غيروا

فيها وبدّلوا، هذا لا يعزُّ به أهل الإسلام، إنما العزّة في تحكيم شرع الله -تبارك وتعالى- وتطبيقه، فيجب على ولاية أمور المسلمين أن يطبّقوا شرع الله على العباد، وأن يحكّموا بينهم بما أنزل الله، كما قال -جلّ وعلا-: ﴿وَأَن أَحْكُمَ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ المائدة: ٩٤، فهذا ثاني أمر يجب على أئمة المسلمين أن يطبّقوه في الرعيّة.

والثالث: العدل، يجب على حكام المسلمين أن يقيموا العدل بين الناس، وأن يجعلوا الناس عندهم في ذات الله سواء، لا فرق لشريفٍ على وضع، ولا لكبيرٍ على حقير، ولا لغنيٍّ على فقير، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود، ولا لأحمر على أصفر، الناس كلهم في دين الله سواء:

الناس من جهة التمثيل الكفائي أبوهم آدم والأُم حواء

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: ٣١، فيقيموا بين الناس بالعدل والمساواة بينهم في الحقوق، فلا يبخس أحداً حقاً أوجبهُ الله -جلّ وعلا- له عليهم، كما قال -جلّ وعلا-: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ النساء: ٨٥، فلا بدّ من إقامة العدل، والله -جلّ وعلا- يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ويدل الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، لو كان هذا حاكمٌ مسلم وهو ظالم لا يدوم ملكه فبالعدل تقوم الدُّول، وتبقى الدُّول، وبالعدل يتآلف الناس، وبالعدل يُتّصف للضعيف من القوي، وللفقير من الغني، وللوضع من الشريف، فالناس كلُّهم أمام السُّلطان في دين الله -تبارك وتعالى- سواء.

فإذا قام العدل انبعثت الحياة، وتحركت، ونشط الناس، وعمرت الأوطان العمارة الحسية والمعنوية، أما إذا حل الظلم واختفى العدل فحينئذ قل على هذه الأمة السلام! فكل واحد لا يفكر إلا في حماية نفسه، فلا يأمن على نفسه بحال من الأحوال فهو ساع طيلة عمره في الحفاظ على نفسه وممتلكه، لا يسعى ولا ينشط في إعمار ولا بناء؛ لأنه يخاف، وإذا حل الخوف أحجم الناس وتأخرت الحركة، وتعطلت النهضة الدينية والدينية، فيجب على رعاة المسلمين وحكام المسلمين أن يقوموا بهذا غاية القيام، والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَائِمُّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» أتشفع في حد من حدود الله؟! يقوله لمن؟ لأسامة؛ لأن قريشاً كلها تهيبت في أمر المخزومية التي سرقت المتاع أو كانت تسرق المتاع قالوا: من يجزؤ على غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اليوم؟ لا يجزؤ عليه إلا حبه وابن حبه، فوسطوا أسامة - رضي الله عنه - الذي يحبه - عليه الصلاة والسلام - فكلمه فغضب - صلى الله عليه وسلم - غضباً شديداً، ثم قال له: أتشفع في حد من حدود الله؟! أتشفع في حد من حدود الله؟! مغضباً - صلوات الله وسلامه عليه - ثم قال هذه المقالة.

فإذا إقامة الأحكام الشرعية، والعدل فيها بين الرعية، والمساواة فيها بين الكبير والصغير، والشريف والحقير، والوضيع والكبير، هذا هو الصحيح وهو الذي به تسعد الحياة، فلا ينظر إلى الناس في هذا الجانب من باب مكانتهم الاجتماعية، ولا لأحسابهم، ولا لأنسابهم، وإنما ينظر إليهم إلى أنهم سواسية كأسنان المشط أمام شرع الله - تبارك وتعالى -، فيطبق حكم الله على

الجميع، وإذا كان كذلك أمن الناس وسعدوا في حياتهم، والتفوا على هؤلاء الولاة الذين هم بهذه الصفة، لا يفرقون بين الناس في هذا الجانب.

ومما يجب أيضًا على الراعي في هذا الباب أن يحفظ البلاد، وذلك بحفظ ثغورها، وحدودها وإقامة من يحرسها، وأن يكثر في ذلك العدد والعُدَد التي يحصل بها إرهاب العدو المتربص، فإذا هم أو فكر أعداء الإسلام في وقت من الأوقات في أن يغزوا ديار الإسلام ويستبيحوا بيضة المسلمين كان لهم أهل الإسلام بالمرصاد، فلا ينفذ هؤلاء الأعداء إلى بلاد المسلمين فيحصل ماذا؟ يحصل الأمن والاطمئنان كما قال -جل وعلا-: ﴿وَلْيَبْذُلْتَهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي

لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [الزور: ٥٥]، وحصول الأمن يحصل بهذا ويحصل أيضًا بشيء آخر، ألا وهو إقامة العسس في بلدان المسلمين، داخل بلاد المسلمين، فيما بين المسلمين، وإقامة الجند الذين يحرسون السبل السابلة التي فيها المسافرون، فيخاف قطاع الطرق، ويأمن الناس وتقوم الحياة، فيحج البيت، وتدخل التجارات، وتتوافد الأرزاق، ويفد التجار من كل مكان؛ لأنهم قد علموا أن هذه الدار دار أمان، فتأمين السبل في الداخل وحفظ الأمن فيها هذا من واجب الرعاية والحكام، فيطمئن الرعية بذلك، فأنتم ونحن جميعًا ننام بملء جفوننا، أقر ما تكون عيوننا مطمئنين يدخل أحدنا داره وأغلق بابه في غاية من الأمن والأمان، ولكن من أقامهم السلطان في هذا الباب لا ينامون، يسهرون على راحة المسلمين، على تأمين المسلمين فهذه من أعظم النعم والله، وكثير منا ربما لا يحس بها، لكن أدعو أحبتي وإخواني ممن حضر أو يستمع هذا الكلام ويصل إليه، أن يعتبر بأحوال البلدان المجاورة، لا يهتئون بنوم، ولا يهتئون بعيش، ولا يهتئون بإقامة أبدًا، حالهم

خوف، ووضعهم جوع، وبيوتهم قلق، النار ترسل عليهم دائماً وأبداً، يذهب رب الأسرة ولا يعود، ويذهب بعض الأولاد والأطفال خارجاً من بيته يلعب فلا يعود، وربما ذهب إلى الدرس فلا يعود، يذهب الابن إلى المسجد فلا يرجع، بسبب ماذا؟ بسبب انفلات الأمن، فنحن في نعمة من الله -تبارك وتعالى- عظيمة، وهذا من واجب الولاة، فيجب عليهم أن يقوموا به ليسعد الناس؛ لأن الشعب لا يمكن أن يتلذذ به مع الخوف أبداً، والمال لا قيمة له مع الخوف يصبح عليك همّاً وغمّاً، كل همك في كيف تحفظ هذا المال الذي معك من اللصوص، من المعتدين، فأصبح هذا المال همّاً وغمّاً ونقمة عليك، فبدل أن تتمتع به تشقى به في حراستك إياه من هؤلاء عند انعدام الأمن وانفلات أزمّة الأمور.

وأما مع الأمن فلا، الواحد معه عشرات الآلاف ومئات الآلاف يسافر بها لا يعترضه أحد؛ لأنه يعلم أنه إن سرق قطعت يده، وإن حارب وقطع السبيل طبق عليه حد الحرابة، البغاة الذين يفسدون في الأرض -نسأل الله العافية والسلامة- فيتهيب الناس فيأمن حينئذ أهل الإسلام، فلا بد من ذلك.

هذه أهم الأمور التي يجب أن يقوم بها الرعاة سلاطين المسلمين، وإلا فقد ذكر العلماء أكثر من ذلك، من أراد المراجعة فليرجع مثلاً إلى كتاب الأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي، والأحكام السلطانية للمواردي، وهكذا كتب الفقه التي تكلمت على هذا الجانب، والكتب التي تكلمت عما يتعلق بالسلطان كسراج الملوك للطرطوشي، ونحوه من الكتب التي تكلمت في هذا، فقد ذكر القاضي أبي يعلى -رحمه الله- في الأحكام السلطانية عشرة أمور تجب على

السلطان، على الراعي لرعيته، ومنها ما ذكرنا: حفظ الدين، وتنفيذ الأحكام، وحماية بيضة الإسلام بحماية حدود بلاد المسلمين، وإقامة الحدود، وتحصين الثغور، وجهاد من حارب أهل الإسلام، ومن عاند الإسلام بعد دعوته إلى الإسلام وامتناعه، وهكذا أيضًا إقامة الزكاة فيهم بجبايتها، وأخذها من أغنيائهم وردّها على فقرائهم، كما أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- معاذًا حينما بعثه -رضي الله عنه- إلى اليمن في حديثه المشهور، وقال له بعد الصلاة: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ» فهذا مما يجب على السلطان أن يقيمه يأخذ الزكوات من الأغنياء ويعيدها في الفقراء فيعم المجتمع الغنى، وسد الفقر، ورفع الفقر، بل ويحصل لهم -إن شاء الله- الخير الكثير، ولو قام الناس بهذا حق القيام ما وجد بين المسلمين فقير، ولكن الناس يُفَرِّطُونَ في ذلك فيحتاجون إلى الأئمة ليقوموا بتطبيق هذه الشعيرة.

وهكذا أيضًا مما يجب لنا نحن معاشر الرعية على الرعاة، على السلاطين، على الولاة أن يقوموا فينا بتقدير العطاء، يعطوا المسلمين من بيت المال ما يحفظهم، ويسد حاجتهم وخلتهم، وفقرهم، وهذا ما ترونه مثاله هنا التقاعد، مصلحة التقاعد لمن تقاعد، ومصلحة الضمان لمن لم يكن عاملاً من امرأة عاجز، أو رجل كبير عاجز، أو معوق أو معطل، فهؤلاء لهم حق في بيت المال يجرى عليهم من الرزق ما يحفظ كرامتهم وماء وجوههم، ولا يعرضهم لمذلة السؤال، فيقومون بتقدير العطاء، الأسرة إذا كانت كذا تستحق كذا، والفرد إذا كان كذا يستحق كذا،

فيعطى من بيت المال ما يستحقه الناس، هذا مما يجب على الراعي، مما يجب على سلاطين المسلمين أن يقوموا به في الناس.

وأيضاً أن ينصبوا عليهم من يقوم بتصريف أمورهم كالأمراء والولاة في المناطق، وكالقضاة للأحكام، وكرجال الحسبة ليحتسبوا ويقوموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا الأجناد ليقوموا بحماية الطرق والسبل، وهكذا السجون التي يمسك فيها أهل الفساد والشر والريب والإجرام، فيكفوهم عن مجتمع المسلمين ويقلدوا من يقوم بمثل هذه الأعمال.

وأيضاً بعد ذلك كله يتابعون هذا بأنفسهم، فلا يدعونه ويغفلون عنه ويوكلون أمره إيكالاً كاملاً لا يراجعون من ولوه، ولا يتابعون من نصبوه، ولا يتفقدون من عينوه على المسلمين، بل لابد من متابعتهم فيشرف السلطان والراعي، أئمة المسلمين يشرفون على الأمور، ولا يتشاغلون عن ذلك بلذة العيش، فيتسلط من دونهم ممن ولّوهم الولايات الصغيرة الجزئية على المسلمين فيتعبونهم، ويرهقونهم، ويخيفونهم، ونحو ذلك.

وقد كان الخلفاء فيما سبق يتفقدون عمّالهم، ويحاسبونهم محاسبة شديدة، فإذا شعر هؤلاء العمال بمتابعة الوالي لهم فإنهم سيسيرون في الناس السيرة الحسنة، ويقومون فيهم القيام الواجب الذي ائتمنهم عليه أئمة الإسلام، أما إذا ترك لهم الحبل على الغارب، ولم يُتَبَعُوا ويُفَتَّشَ عليهم، فإن البلاء قد يأتي والسلطان في غفلة، وما يحس إلا وقد انتقضت عليه الأمور - نسأل الله العافية والسلامة -.

فهذه العشرة ملخصة ذكرها القاضي - رحمه الله - في الأحكام السلطانية، فمن أراد أن يراجع بسطها فإنه سيجدها هناك، ونحن ذكرناها وذكرنا الخمسة أو الستة الأولى منها لأهميتها، وهناك أمور أخرى غير هذه، لكن هذه هي الجامعة، هي الكبيرة الشهيرة، التي يجب للرعية على السلطان القيام بها.

وأما واجب السلطان على الرعية، مما يجب له عليهم القيام به فكثيرٌ جداً، ولكن لخصه أئمة الإسلام وفقهاء الإسلام في هذه الكتب وغيرها في جوانب أذكر أهمها، فأهم ما يجب للسلطين، والحكام، والرعاة على الرعية:

حق السمع والطاعة.

السمع والطاعة لمن ولاه الله أمرنا معاشر المسلمين، وعدم الخروج عليهم، فإن هذا محرم، وقد نهى عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث كثيرة شهيرة، من ذلك قوله: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»، فشبّه النبي - صلى الله عليه وسلم - الإسلام بالحبْل الذي يُجعل في العنق يُقاد به، كما يُجعل الحبْل في عنق الخروف أو الدابة لئلا ينفلت، فإذا ذهب الحبْل من حلق هذه الدابة وأنت ماسكٌ به انفلتت الدابة منك ما ينفع الحبْل، فهكذا المسلم إذا فارق الجماعة، وخرج عن الطاعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه - نعوذ بالله من ذلك -، يعني فارق وشذ عن المسلمين بخروجه عليهم، بل أكثر من ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في الحديث المشهور للجميع، هذا الحديث كلنا يسمعه ويعرفه، وبدأ بعض الناس يحرفه، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «وَأِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأَخَذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» خرجه مسلم في الصحيح، ويقول - عليه الصلاة والسلام - «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ

وَكْرَهُ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»، ويقول: «وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»، ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرِهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ» إثمه عليه، لكن لا يجوز لك أنت أن تخرج عليه، ولو ظلمك وضربك إثمك أنت عليه، لكن لا يجوز لك أنت أن تخرج عليه، اسمعوا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في صورة أخرى بعيدة قليلاً، يقول -عليه الصلاة والسلام-: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَنَّاكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» لو أمنت مائتي ألف فخانك فيها، فأمنك مليوناً هل يجوز لك أن تخون؟ لا يجوز، لماذا؟ لأن منطلق المعاملة هنا هو التدين بشرع الله، فإذا لم يتق الله فيك، فأنت مُحَاسِبٌ فاتق الله فيه، ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَأْخُذُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي عَلَيْنَا وَيَمْنَعُونَا الْحَقَّ الَّذِي لَنَا أَنْقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا، عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»، فهذه النصوص وغيرها كثير، دالة على تحريم الخروج، طيب ومن أراد الخروج، ماذا نعمل فيه؟ فيه حديث عرفة بن شريح -رضي الله عنه-: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمَرَكُمْ بِجَمِيعٍ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»، هذا أمر نبينا -صلى الله عليه وسلم- لنا، فنحن لا نستحيي من ذكره؛ لأننا نحن نطالب بتحكيم شرع الله، وهذا من شرع الله، فقط نطالب بشرع الله إذا كانت المسألة تخصنا! لا، فهذا من شرع الله.

فأعظم أمرٍ يجب على الرعية لسلطين المسلمين حق السمع والطاعة، فإن الناس لا يصلحهم إلا إمام، براً كان أو فاجراً، فإن كان فاجراً عبد المؤمن فيها ربه، وإن كان غير ذلك حمل الفاجر منها إلى أجله، تصبر عليه ونهايته إلى الله، كما قال الإمام أحمد -رحمه الله-: «اصبروا حتى يستريح

بَرٍّ، أو يُستراح من فاجرٍ، البر يموت وهو على السنة، على السمع والطاعة، ما ركب مذهب الخوارج، أو يُستراح من فاجر، من هذا الظالم، فصبرك عليه عاقبته حميدة لك في الحالين، إما أن تفارق الحياة وأنت على الإسلام والسنة، ونعم الأمر الذي فارقت عليه، وإما أن الله - جل وعلا - يريحك من هذا الفاجر الظالم فيأخذه من غير أن تحرم دينك أنت، والله - جل وعلا - قادرٌ على كل شيء - سبحانه - فباب السمع والطاعة معشر الإخوة بابٌ مهم، فإنه لا إسلام إلا بإمرة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة، لا بد من ذلك فالله نصب علينا هؤلاء الأئمة، وجعلهم أئمة ينفع الله بهم، ويدفع الله بهم.

إن الخلافة جبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن وانا
كم يرفع الله بالسلطان معضلة في ويننا رحمة منه وونيانا
لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

فهذه من نعم الله - جل وعلا - فلا ينتظم الأمر إلا بنصب الأئمة - كما قلت لكم -، والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، يقول الحسن البصري - رحمه الله -: **"والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون"**، إذا جاء شر منهم فهو على أنفسهم مخصوص، لكن إذا نزل البلاء منهم نزل بالأئمة كافة، ولهذا كان أحمد - رحمه الله - ينصح فقهاء بغداد في فتنة القول بخلق القرآن، حينما قالوا له: يا أبا عبد الله إن الأمر قد فشا وتفاقم، ووصل إلى ما ترى - يعني امتحان العلماء القرآن مخلوق ولا ما هو مخلوق - وإنا لا نرى له علينا سمعًا ولا طاعة، قال: **"لا، اصبروا هذا خلاف الآثار، إنا نجد في الآثار ما صلّوا فلا، الله الله في دماء المسلمين! كفوا عن دماء المسلمين! لا تسفكوا دماء المسلمين!"**، فنهاهم عن الفتنة، قالوا: أو ما ترى ما نحن فيه؟! قال:

"هذه فتنة خاصة، يوشك الله أن يرفعها" امتحان العلماء نزل بطائفة، هم العلماء، والعلماء قد أنار الله قلوبهم، وثبتهم، وصبرهم، فعندهم من العلم والنور والإيمان ما يتحملون -بفضل الله ورحمته- معه ما لا يوجد عند العامة، يقول هذه فتنة خاصة، نحن نصبر، ويوشك أن ترتفع، أما لو قلنا نقاتل سُفكت الدماء، وانتُهكت الأعراس، وقُطعت السبل، لا، هذا خلاف الآثار، إنا نجد في الآثار ما صَلَّوا فلا.

فالواجب الاعتناء بهذا الأمر، والحذر من مذهب الخوارج الذين قد خالفوا أُمَّة الإسلام في هذا الباب، وعلماء السنة -ولله الحمد- قد بسطوا هذا الأصل في كتب العقيدة بسطاً بما لا مزيد عليه، وذكره في كتب العقيدة المختصرة تذكيراً به، فمن أراد أن يأخذه مبسوطاً رجع إلى كتب العقائد الكبيرة المبسوطة، ومن أراد أن يأخذه مختصراً رجع إلى كتب العقائد المختصرة، وما ذلك إلا لأهميته.

ومن حق أيضاً الولاية، والرعاة، والحكام علينا معاشر المسلمين: النصيحة، أن نبذل لهم النصيحة، فإن الدين النصيحة كما في حديث أبي رقية، تميم بن أوس الداري -رضي الله تعالى عنه- قال -صلى الله عليه وسلم-: « إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: اللَّهُ، وَكِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ، وَأَئِمَّةَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ » ما بقي أحد، ما من واحد إلا وله حق في النصيحة؛ لله -جل وعلا-، ولكتاب الله، ولرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولأئمة المسلمين وحكام المسلمين، ولعامة المسلمين، فما من أحد إلا وله حق في هذا الباب، ولكن النصيحة للسلطين يجب أن تكون متفقةً ومتناسبة لمقامهم الرفيع، ولقدرهم

العلي، والإمام أحمد - رحمه الله - يقول في هذا الباب: **"لا يُنكر على السلطان إلا وعظاً"**، يعني النصيحة والإنكار عليه تكون عن طريق الموعظة، والتودد إليه، وترقيق القلب، حفظك الله كذا، صرف الله عنك كل سوء كذا، أحسن الله إليك الأمر كذا، وهكذا، ليش؟ قال: لأن السلطان في يده السيف، والشيطان ينزغ، إذا طولتها معه واعتديت وتجاوزت الحد عطاك السيف، فلا هو الذي صلح، ولا أنت الذي نصحتَ وسلمت، هذا ما هو صحيح، لا يُنكر على السلطان إلا وعظاً، ولذلك مواعظ الملوك كُتبت فيها كتب معاشر الأحبة، أنت الآن بالله عليك وأنت من عامة المسلمين أنا وأنت ترضى واحداً يأتي ويرفع صوته عليك في الشارع إذا راك أخطأت، ويُسمع الناس بك؟ ما ترضى، ولكن تحب منه أن يتلطف معك، وأنت من آحاد الناس، فكيف بمن ولاهم الله أمور المسلمين، ونزلهم هذه المنزلة العلية الرفيعة، يجب أن يُخاطبوا على قدرهم، ويجب أن يُوقَّروا وأن يُحترموا، فإن الإنسان إذا أحسن الدخول أذن له، وسُمعَ منه، وإذا لم يحسن الدخول طُرِدَ ولم يُسمع منه، وأنت إنما مرادك الإصلاح والإحسان، فإذا أحسنت في الدخول وفقك الله - جل وعلا - وقُبِلَ منك، وإذا لم تحسن الدخول لم يُقبل منك، فالنصيحة واجبة، ولا يجوز لأحد يستطيع أن ينصح ويُسمع منه، لا يجوز له أن يكتُم، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال: **«ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ؛ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ»** هذه الأولى **«وَمُنَاصَحَةُ وُلاَةِ الْأُمُورِ، وَلَزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ»** الحديث، فمناصحة ولاة الأمور هذه لا يغفل عليها قلب مؤمن، فالمؤمن ينصح، والمنحرف يهتك ويفضح - نسأل الله العافية والسلامة - فلا بد من ذلك، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يُخبر في هذا الحديث الذي سمعتم أن قلب

المؤمن لا يغفل على هذه الثلاث، فإذا رأى ما يوجب النصيحة وكان ممن يُسمع منه فعليه أن ينصح، إما كتابة، وإن كان ممن له مكان عند السلطان دخل عليه سرًّا وأخذ بيده كما في حديث ابن أبي أوفى: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عِلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَلِكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ» وفي الرواية الأخرى: «إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مِنْهُ» شرط وهذا قيد آخر على أنه ليس كل أحد ينصح للسلطان إنما ينصح له وجهاء الناس، وأهل الحل والعقد، وأهل العلم، وخيار الناس وعبادهم، وصلحاءهم، ومن كانت له مكانة عندهم، هذا هو الذي ينصح ينفع الله - جل وعلا - به، أما الآن كما نرى بعض الناس وفي بعض الأوقات يكتبون العرائض وينشرونها في الإعلام، هذا منافٍ للطريقة الشرعية، منافٍ للطريقة الشرعية، من كانت عنده نصيحة للسلطان فلا يبده علانية، الرجل ما يقبل تفضحه، العاقل يجب أن تنصحه، ويكره أن تفضحه، والنبي - صلى الله عليه وسلم - لما جاء له وقيل إن فلانًا قد شرب خمرًا - في الصحيح - ماذا قال؟ قال - صلى الله عليه وسلم -: «لَوْ سَتَرْتُهُ بِرِدَائِكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ» يعني إيش؟ استر عليه في عامة الناس، الآن يا إخوتي وأحبتى كثير من الناس يهتك ويكشف ولا يستر، والله حيي ستير يجب الستر على عباده - جل وعلا - فإذا رأيت من بلاه الله بشيء، فأنت أيها المؤمن هذا أخوك استره، لا تفضحه لعل الله يحبي قلبه على يدك فيتوب مما هو ويحسن حاله ويصلح، فإذا كان هذا مع آحاد الناس، فكيف بمن كانت له المكانة الرفيعة هذه؟ يجب أن يوقر، فإنك إذا وقرته سمع منك، وإذا حقرتة أهانك وانتقم منك.

الأمر الثالث: يجب أيضًا حيطة أئمة المسلمين مما يضرهم، فإذا علمت كما ذكر ابن جماعة وغيره في كتابه تدابير أهل الإسلام: **"إذا علمت من يسعى بضرر له فإنه يجب عليك أن تنصح له وتحذره ممن يريد به سوءًا"**، فإن هذا من الخير؛ لأن استبقاء الحاكم والسلطان وإزالة الضرر عنه، هذا أمره عظيم يبقى الخير على الأمة جميعًا، فإن أنت تركته حتى يُغتال أو يُقتل أو يُفجر منزله أو سيارته وأنت تعلم تكون آثمًا، وربما نزل بالأمة ضرر بسبب هذا عظيم.

وأيضًا مما يجب لهم علينا معشر الأحبة: إظهار توقيرهم في الناس، وإظهار مكانتهم العلية التي أنزلهم الله فيها بين الناس، وتآلف الناس عليهم، ما نحث الناس على الخروج عليهم، لا، نتآلف الناس عليهم فنكون ممن يسعى إلى وحدة الكلمة، وجمع الصف، ومنازمة الفرقة، هذا من أهم ما يجب لهم علينا، والكلام كثير.

ولعلنا عند هذا نقف وبه نكتفي، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد.

ونسأله -جل وعلا- أن يصلح أحوال المسلمين حكامًا ومحكومين، اللهم أصلح أحوال المسلمين حكامًا ومحكومين، اللهم أصلح حكام المسلمين، اللهم أصلح حكام المسلمين، اللهم أصلح حكام المسلمين، اللهم وُلّ على المؤمنين خيارهم ولا تولّ عليهم شرارهم، اللهم تب على التائبين، واغفر ذنوب المذنبين، ووفق الناصحين يارب العالمين، إنك جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

شكر الله لكم صاحب الفضيلة، ونفعنا بما قلتم، ونستأذنكم في عرض بعض السؤالات، وقبل ذلك نعتذر لمن لم يُعرض سؤاله؛ لأننا سنقدم ما هو متعلق بموضوع المحاضرة حتى يحصل النفع وتتم الفائدة.



السؤال:

المؤرخ:

أحسن الله إليكم، يقول: فضيلة الشيخ هل نصيحة الوزراء والمسئولين في الدولة يأخذ حكم نصيحة ولاية الأمر، أم تجوز النصيحة لهم علناً؟

المؤرخ:

نعم، نواب الولاية فيما هم فيه، نواب الحكم فيما هم فيه يأخذون حكمه، كما قرر ذلك فقهاء الإسلام وهو مبسوط، فمثلاً: الوزير وزير الداخلية، الوزير وزير الخارجية، وزير الصحة، ما يجوز أن يُنصح على هذا النحو ما نراه نحن الآن، أو نسمع به، هذا خطأ، هذا يورث من الشر ما لا يعلمه إلا الله ولا يأتي بالخير المراد، هذا ما يصلح.



المؤرخ:

وهذا يقول: فضيلة الشيخ إشكال كيف تُقيم الدولة الكافرة العدل وهي تحكم بغير ما أنزل الله؟

المؤرخ:

هؤلاء الكفار، الدين منهدم عندهم، نحن نتكلم، تكلمنا على هذا بين الرعية في أمور دنياهم، الدين ضايع عندهم معلوم، لكن الكلام عليه في دنياهم يعني مع كفرهم هناك قواعد وأنظمة تُطبق على الجميع، لا يُفرق فيها بين عظيم وحقير، ولا صغير وكبير، ولا فقير ووزير، الناس سواسية في هذه الأنظمة، فهذا المراد به في أمور الدنيا، العدل بينهم في أمور المعاش وإلا فالدول الكافرة معروف أن باب الإسلام باب الإيمان مهدوم عندها، الكفر هو عندهم مهدوم لكن في أمور دنياهم هناك أمور يشترك فيها بني البشر جميعاً وهو ما يصلح به أمور الحياة.



الترتيب:

أحسن الله إليكم، وهذا يقول: كيف يتعامل المسلمون في بلاد الكفر مع حكامها؟

الترتيب:

يتعاملون معهم بالمشي على أنظمتهم الصالحة التي لا تخالف الإسلام، فمثلاً ما نذهب إلى بلاد الكفار ونقول هذا النظام وضعوه ما يجب علي أن ألتزم به، لم؟ قال: لأنهم كفار، ما هو هذا النظام؟ هذا النظام وضعوه لحفظ أموال الناس وعدم الاعتداء عليها فمثلاً: سن الغرامات المالية لمن يتعدى على المرافق العامة ونحو ذلك، هذا يجوز أن يفعلوه، وهو عندنا أيضاً معمول به نحن أمة الإسلام، فأنت مثلاً ما تقول هذا ما يجب علي، وتذهب وتلعب في بلاد هؤلاء القوم وأنت مقيم بين ظهرانيتهم ضيف، والضيف لا بد أن يراعي حال من ضيفه فأنزله في بلده وفي بيته، فإذا كانت هذه التعاليم لا تتصادم مع الإسلام فلا مانع منها، من أن تلتزم بها، الغرامات

إذا قطعت الإشارة موجود عند المسلمين وموجود عندهم، مضاعفتها على من قطعها وهي في حال معينة، كأن يأتي في حال السرعة المفرطة فيضربون عليه الغرامة ونحو ذلك، فمثل هذه مما تعارف الناس جميعاً عليه، فأنت تطيعهم في المعروف هذا أولاً.

وثانياً هذا المعروف هو ما تعارف الناس على عرفه، فأنت تُطيع؛ لأنه معروف، لا لأن صاحبه الذي سنه مسلم وحاكم مسلم، أو له كحق المسلم الحاكم المسلم من السمع والطاعة، لا، وإنما تلتزم بأنظمتها التي لا تخالف دينك دين الإسلام، هذا المراد به.



المراد:

أحسن الله إليكم، وهذا سائل عن طريق الشبكة، يقول: ما توجيهكم فيمن يقول إن حكام المسلمين اليوم كلهم كفار، وإنما لم يكفرهم العلماء؛ لأنهم يقدرّون المصالح والمفاسد؟

الرد:

أقول هذا كذب، هذا كذب وليس عندي أكثر من هذا، كذب وجهل وهوى، ليس عندي أكثر من هذا، كذب وجهل وهوى، كل حكام المسلمين كفار؟! هكذا؟! كل حكام المسلمين كفار؟!

إلى الله المشتكى «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ» -نعوذ بالله من ذلك- كل من ألفاظ الاستغراق والعموم، وما شاء الله قد درس حال هؤلاء الحكام المسلمين كلهم!

ورآهم تطبقت فيهم الشروط التي يكفرون بها! نعوذ بالله من ذلك! هذا قول رديء خبيث -
نسأل الله العافية-.

النبي -صلى الله عليه وسلم- قد حذر من هذا، «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»،
إما أن يكون كما قلت وإلا حارت عليك -نعوذ بالله من ذلك- فأنت أشفق على نفسك أيها
المسكين!!



المُزَوَّر:

أحسن الله إليكم، وهذا كذلك يطلب التوجيه فيمن يقول إن طاعة الولاة من التخاذل والضعف؟

الجواب:

هذا غريب، كيف يقول طاعة الولاة ضعف وتخاذل؟! بالعكس، الطاعة للولاة يؤدي إلى
اجتماع الكلمة، واجتماع الكلمة فيها القوة لله الحمد، هذا ما هو صحيح.



المُزَوَّر:

تتمة للسؤال يقول: وأين نحن من حديث كلمة حق عند سلطان جائر؟

الجواب:

الله يقويك، نحن نقول له: الله يقويك، أين نحن من حديث كلمة حق عند سلطان جائر؟!
نقول: الله يقويك، رح للسلطان الجائر وأدخل عليه وتوطأ نمرقته، واستقم عليه على عرشه

وقل له يا جائر، الله يقويك!، بل نزيديك إذا عرفت السلطان الجائر توكل على الله، فإن أعظم الشهداء عند الله رجل قام إلى سلطان جائر فوعظه وأمره ونهاه فقتله، الله يقويك، توكل على الله.

هذا يا ولدي السائل ليس كما فهمت، ليس كما فهمت وإن الجور يختلف ومتفاوت فهل الجور هذا هو الكفر؟ ما هو صحيح، ليس الكفر، فلا علاقة له بسؤاله الأول في تكفير حكام المسلمين، فإن الجائر هو الظالم، والظلم قد يكون الظلم العام، وقد يكون الظلم الخاص، ما هو الظلم الخاص؟ الشرك.

والظلم العام الذي يعرفه الناس: أخذ حقوق الناس والاعتداء على الآخرين، ليس الظلم الذي تعنون كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما شق ذلك على الصحابة فقالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَآيِنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) ﴿١٣﴾ (قمان: ٣١)»

فالمراد بالظلم هنا الشرك، فهذا هو الخاص، الذي لم يفهمه الصحابة حتى بينه لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقد يخرج الظلم عن المعنى العام إلى الخاص، فهل هذا الذي في الحديث ينطبق على الجميع كلهم بالمعنى الخاص كفروا؟! هذا غير صحيح.

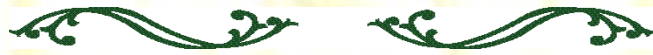


الرد:

وهذه عدة سؤالات متعلقة بالسؤال عن مدى مشروعية الكلام على حكام المسلمين ممن لا يكون الواحد منهم تحت ولاية أولئك الحكام؟

الرد:

ما يجوز له، والواجب الدعاء لولاة المسلمين، الدعاء لهم بالتوفيق، والإعانة والهداية، والتسديد، هذا الواجب، أما الكلام فيهم وتجريء العامة عليهم وإيغار قلوب الناس عليهم لا يجوز، لا يجوز بحال من الأحوال، فالواجب على المسلم أن يكون في هذا الجانب على الهدى النبوي الذي جاءت به النصوص عنه -عليه الصلاة والسلام- فتناول الولاة وسبهم والتعريض بهم هذا مما يفسد الناس على ولائها، ويوغر صدورهم عليهم، ويدعوهم إلى الخروج عليهم، فلا يجوز حتى ولو كان ليس والياً عليك أنت.

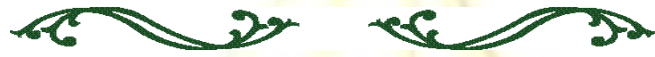


الرد:

أحسن الله إليكم، نختتم بهذا السؤال يقول: فضيلة الشيخ لو أن ولي الأمر أمرنا بأمر يشق علينا ويترتب من جراء ذلك ضرر، فهل لنا أن نطيعه؟ -وجزاكم الله خيراً-.

الرد:

هذا سؤال مجمل، والمعروف أن أئمة المسلمين أرحم الناس بالناس، فأنتم إذا أمركم بهذا فراجعوه، إذا كان كذلك راجعوه، وأحسنوا المراجعة، وستجدون الخير - إن شاء الله - أيها الأخ الكريم السائل.



شكر الله لكم صاحب الفضيلة، جزاكم الله خيراً، ونفعنا بما قلتم.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



وجزاكم الله خيراً.